في كل ليلة حكاية

٢٠

لقد أطعمك الله كما أطعمتِ نبيّه

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى

1423هـ - 2002م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

حقائق يجب أن تُعرف للجميع !!

كانت (سميرة) تستمع إلى برنامج في الإذاعة ، ولفت انتباهها قول الدكتور الذي يقدّم الحلقة عن الفرق بين الرجال والنساء.. قوله :

يجب أن نذكر البطل أو الرمز أو... ونذكر معه من ربّاه حتى وصل إلى هذا المقام العالي .

وضرب مثلاً فقال :

نحن نذكر كثيراً الصحابي (أنس بن مالك) ونتحدّث عن أخلاقه ، وحُسن خدمته للنبي ﷺ ، ورواياته للأحاديث النبوية ، وما إلى هنالك ، لكن هلاَّ ذكرنا أمه التي أخذت بيده إلى ذلك كله ؟!

ثم قال الدكتور : أحسب أن غالبيتنا يغفل عن ذلك الأمر...

لكن الدكتور ـ قالت سميرة ـ لم يذكر شيئاً عن والدة أنس رضي الله عنه ، حتى أنه لم يذكر اسمها أبداً... ولعلّ ذلك من الأمور التي يجب أن تصحّح...

وفي السهرة ، حيث اجتمع الجميع على مائدة العشاء ، وبعد تناول بعض أنواع الحلويات والفواكه...

سألت (سميرة) خالتها (أم أحمد) عن والدة الصحابي (أنس بن مالك) رضي الله عنهم أجمعين ، واقترحت أن تتحدث لهم عن حكايتها في هذه الليلة...

فقالت (أم أحمد) : ما هو رأيكم ؟ أنتحدث عنها ، أم نتحدث عن رجل من رجالات الصحابة ؟

وكانت موافقة الفتيات جميعاً على أن يكون الحديث عن أم أنس ، بينما تردّد بعض الشباب..

وسكت البعض.. وكأن الأمر لا يهمهم كثيراً !!

ولذلك أصرَّت (أم أحمد) على أن يكون الحديث عن واحدة من عمالقة الرعيل الأول.. فلا فرق في ميزان الشريعة الإسلامية بين رجلٍ أو امرأةٍ ، إلا بالتقوى..

... فقالت : والآن نبتدي حكاية هذه الليلة :

حُسن الاختيار!!

والدة الصحابي (أنس بن مالك) هي امرأة عاقلة كريمة ، يقال لها : الرُّميصاء ، واسمها سهلة ، لكنها اشتهرت بأم سليم بنت ملحان...

ولما وصلها خبر الدِّين الذي يدعو له رسول الله ﷺ ، أعلنت إسلامها ، بينما كان زوجها (مالك بن النّضر) غائباً .

فلما عاد الزوج وعلم بإسلامها غضب غضباً شديداً وقال : أصبوتِ ؟ ـ أي هل تركتِ دين الآباء والأجداد..؟!ـ

فأجابته : ما صبوتُ ، ولكني آمنت بدين محمد بن عبد الله..

وفي اليوم التالي استيقظ زوجها فسمعها تلقّن ابنها (أنس) الشهادة :

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله..

عندئذٍ كاد (مالك) أن يُصاب بالجنون.. فاقترب منها وقال : لا تُفسدي عليّ ابني..

وبكل لطف وحكمة قالت : لا يا مالك ، فأنا لا أفسده ، بل أرشده...

فخرج (مالك) من البيت ، وتركها وابنها ، وانطلق باتجاه بلاد الشام ، وفي الطريق خرج عليه قطاع الطرق فقتلوه...

فما كان منها إلا أن تفرّغت لتربية ابنها (أنس) ، حتى إذا ما كانت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة .

جاءت (أم سليم) وهي تصحب معها ابنها (أنس).. فقالت : يا رسول الله ، هذا (أنيس) أتيتك به يخدمك ، فادع الله له .

فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم أكثر ماله وولده » .

مهرٌ لا مثيل له !!

.. ودار الزمن دورته.. وتقدّم (أبو طلحة الأنصاري) منها ليخطبها لنفسه :

فقالت : يا أبا طلحة ، ما مثلك يُردُّ ، ولكنك امرؤٌ كافر ، وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك .

قال : فمن لي بذلك ؟

قالت : لك بذلك رسول الله ﷺ .

فانطلق (أبو طلحة) إلى حيث يجلس رسول الله وبعض أصحابه ، فلما رآه قال : « جاءكم أبو طلحة وغرّة الإسلام بين عينيه » .

ولما أعلن إسلامه قالت (أم سليم) لابنها (أنس) : يا أنس ، قم فزوّج أبا طلحة .

.. وما أجمله وأكرمه وأبركه من مهر.. إنه الإسلام... فهنيئاً لكِ يا أم سليم...

كانت عيشةً راضيةً.. لا تسمع فيها لاغية !!

يروي (أنس بن مالك) رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يزور أمي فتتحفه بالشيء تصنعه له ، وكان يداعب أخي الذي يُكنّى (أبا عمير)..

وذات ليلة زارنا النبي ﷺ فقال : « يا أم سُليم ،

ما شأني أرى أبا عمير ابنك خائر النفس ؟ » .

فقالت : يا نبي الله ، لقد مات عصفوره الصغير ، والذي كان يلعب به .

قال : فجعل رسول الله يمسحُ رأسه ويقول : « يا أبا عُمير ما فعل النغير ؟ » .

.. وهكذا كانت (أم سليم) تعيش مع ابنها وزوجها عيشة البساطة والهدوء والرضى بما قسم الله تعالى .

بينما كان الاهتمام بأمور أخرى ، من أجّلها التبرّك بكل ما له علاقة برسول الله ﷺ .

ففي صحيح الإمام مسلم :

أن النبي ﷺ كان يدخل بيت أم سُليم ، فينام على فراشها وليست هي في البيت ، فجاء ذات يومٍ فنام على فراشها .

فجاءت أم سليم وقد عرق رسول الله ﷺ ، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ، ففتحت عتيدتها[1]، فجعلت تنشّف ذلك العرق في قواريرها .

فأفاق النبي ﷺ فقال : « ما تصنعين يا أم سليم ؟ » .

فقالت : يا رسول الله نرجو بركته لصبيانا .

قال : « أصبتِ » .

وفي رواية البيهقي أنها قالت : هذا عرقُك نجعله في طيبنا ، وهو أطيب الطيب ﷺ .

.. وكان رسول الله ﷺ يستغّل الجلوس عند (أم سليم) ليعلّمها بعض أمور الدّين :

---

(١) أي : الصندوق الصغيرة التي توضع فيها الأغراض الخاصة .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : زار رسول الله ﷺ أم سُليم ، فصلّى في بيتها صلاةَ تطوّعاً ، ثم قال : « يا أم سُليم ! إذا صليتِ المكتوبة فقولي : سبحان الله عشراً ، والحمد لله عشراً ، والله أكبر عشراً ، ثم سلي الله ما شئتِ ، فإنه يُقال لكِ : نعم نعم نعم » .

ومرة ثانيةً سألها رسول الله : « ما لأم سليم لم تَحُجَّ معنا العام ؟ » .

فقالت : يا نبيّ الله ، كان لزوجي ناضحان ، ـ أي : دابتان للركوب ـ فأما أحدهما فحجَّ عليه ، وأما الآخر فتركه يسقي عليه نخلة .

فقال النبي ﷺ : « فإذا كان رمضان أو شهر الصوم فاعتمري فيه ، فإن عمرة فيه مثل حجّة ، أو تقضي مكان حجّة » .

الله يبارك لأم سُليم !!

روى أصحاب السنن حديثاً شريفاً ، فيه أدلة واضحة على بركة الله ورسوله ﷺ في كثير من القضايا :

قال أنس بن مالك رضي الله عنه :

قال أبو طلحة لأم سُليم : لقد سمعتُ صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندكِ من شيء ؟

قالت : نعم .

فأخرجت أقراصاً ـ أرغفةً ـ من شعير ثم أخذت خماراً لها فلفّته فيه ، ودسّته تحت ثوبي ، وأرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، فوجدته جالساً في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله : « أرسلك أبو طلحة ؟ » قلتُ : نعم .

فقال : لمن معه : « قوموا » .

قال : فانطلق ، فانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرتُه .

فقال : يا أم سُليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم .

فقالت : الله ورسوله أعلم .

قال : فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ، فأقبل معه حتى دخل ، فقال رسول الله : « هلمّي ما عندك يا أمّ سليم » .

فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله فَفُتَّ ، وعصرت عليه أم سليم عُكةً[1] لها فأدمته ، ثم قال فيه رسول الله ما شاء أن يقول ، ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا.

---

(١) أي وعاء يوضع فيه السمن .

ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا .

ثم قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ، فأكل القوم وشبعوا ، وهم سبعون أو ثمانون رجلاً !!

وفي رواية أخرى : قال رسول الله : « يا أم سليم أين هذا من طعامك حين قدّمتيه؟ » .

قالت : بأبي وأمي لو أني رأيتهم يأكلون لقلتُ ما نقص من طعامنا شيء !!

شرف الجهاد في سبيل الله

تابعت (أم أحمد) حكايتها الرائعة قائلة :

وشاركت (أم سليم) في الغزوات مع بعض النسوة ، حيث كنّ يسقين الماء ويداوين الجرحى و... ، ففي (أُحد) خرجت أم سليم مع فاطمة

الزهراء والسيدة عائشة وحمنة بنت جحش وأم أيمن وأم عمارة وغيرهن...

ويوم (حُنين) كانت (أم سليم) حامل بعبد الله بن أبي طلحة ، فلما دعا داعي الجهاد ، انطلقت وهي تحمل خنجرها ، فلما رآها رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه وسألها : « ما تصنعين به يا أم سليم ؟ » .

قالت : أردتُ إن دنا أحدٌ من المشركين مني طعنته !!

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾

.. وهكذا نالت (أم سُليم) أرفع الأوسمة من رسول الله ﷺ ، وكان أرفعها ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال :

قال النبي ﷺ : « دخلتُ الجنة فسمعت خشفةً

بين يدي ، فإذا أنا بالرّميصاء بنت ملحان » .

فهنيئاً لكِ الجنة... :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف : ١٠٧-١٠٨] .

وصلّى الله على شفيعنا رسول الله... وعلى آله الكرام الأطهار... وصحابته الأخيار... ومن سار على الدّرب إلى يوم الدّين .

وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين...